2. اللغة عند سابير

يشكل الكلام واحدًا من المظاهر الأليفة جدا في حياتنا اليومية بحيث أننا نادرًا ما نتوقف عن تعريفه، فهو يبدو طبيعيا عند الإنسان كالمشي تماما، بل لا يزيده شيء طبيعية إلا التنفس. ومع ذلك فنحن بحاجة إلى لحظة تأمل لكي نقتنع أن طبيعة الكلام هذه ليست سوى شعور خادع فعملية اكتساب الكلام، في واقع الأمر، شيء مختلف تماماً عن عملية تعلم المشي. ففي لا تكون الثقافة أو بعبارة أخرى، إطار التقاليد الذي يحدد الاستعمال الاجتماعي، ذا تأثير، لأن الطفل مزود فرديا بمجموعة معقدة من العوامل التي نسميها الإرث البيولوجي والتي توجد التنظيمات العقلية والعصبية المطلوبة في عملية المشي... وبوجيز القول فإن المشي وظيفة بيولوجية موروثة عند الإنسان.

أما اللغة فليست كذلك، صحيح أن الفرد بمعنى من المعاني محكوم باللغة، إلا أن ذلك لا يعزى إلى الظرف الذي يولد فيه، ليس فقط في الطبيعة بل في أحضان المجتمع أيضا، الذي تؤدي به ويؤدى به عقليا لاتباع تقاليده. أعزل المجتمع عن الصورة وسيكون من المؤكد أيضا أنه لن يتعلم الكلام أبدًا، أي أنه لن يتعلم كيف يوصل أفكاره وفقا للنظام المعرفي الذي يستخدمه المجتمع.... في حين أن الكلام فعالية إنسانية تختلف بلا حدود من طائفة اجتماعية إلى أخرى، لأنه الموروث التاريخي للطائفة ونتاج الاستعمال الاجتماعي الطويل المدى، إنه يختلف مثل كل جهد إبداعي آخر، اختلافا قد لا يكون شعوريا، لكنه على أية حال اختلافا حقيقي..... فالمشي وظيفة عضوية غريزية أما الكلام فوظيفته ثقافية مكتسبة وغير غريزية.

ثمة واقعة كانت دائما تحول دون اعتبار اللغة نسقا عرفيا من الرموز الصوتية، وقد ظللت عقول العامة وجعلتهم ينسبون اللغة أساسا غريزيا ليس لها، وهي الملاحظة المعروفة التي ترى أننا تحت كل ضغط انفعالي، مثل وخزة ألم مفاجئة أو ارتياح عارم، نطلق لا شعوريا أصواتا، يفسرها السامع على أنها تدل على الانفعال بذاته، غير أن الفرق يبقى كبيرا من التعبير اللاإرادي عن الشعور والنمط الاعتيادي من توصيل الأفكار الذي هو الكلام حقا إن هذه أصوات غريزية، غير أنها لا رمزية أي بعبارة أخرى إن أصوات الألم، وأصوات الارتياح مثل هذه لا تدل على الانفعال، فهي لا تستطيع أن تقف بمعزل عن السياق الذي ترد فيه، لكي تعلن حالة الشعور بهذه الصورة الشاملة التي تغطي جميع أنواع الاستدلال تعريف باطل لا معنى له.....

لقد أصبح الطريق ممهداً الآن لتعريف علمي للغة فاللغة طريقة إنسانية خالصة وغير غريزية لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات بوساطة نسق من الرموز المولدة توليدا إراديا. وهذه الرموز، في الدرجة الأولى، سمعية تولدها الأعضاء التي نسميها "أعضاء الكلام" ولا يوجد أساس غريزي متميز في الكلام الإنساني، مع أن الكثير من الانطباعات الغريزية والوسط الطبيعي قد يفيدان كمثيرات في تطور عناصر معينة ن الكلام.

إدوارد سابير، اللغة والخطاب، ص7-13

إدوارد سابير (Sapir Edward) من علماء اللّسانيّات والبشريّات (Anthropologie) ومن أصل ألمانيّ. ولد سنة 1884 بمدينة لُوانْبورج (Lauenbourg) على نهر الألْب (Elbe) وتوفّي عام 1939 بمدينة نيو هافن (New Haven) قريبا من نيويورك. هاجرت أسرته إلى الولايات المتّحدة ولمّا يبلغِ الخامسة من عمره. زاول دراسته الابتدائيّة والثانويّة بنيويرك ؛ وبجامعة كولومبيا درس اللغة الألمانيّة. وتابع عدّة سنوات بهذه الجامعة محاضرات مواطنه فرانتز بواس (Frantz Boas) وهو الذي وجّهه إلى الاهتمام بلغات الهنود الحمْر وثقافتهم بعد ما عمّق معرفته باليونانيّة واللاتينيّة والجرمانيّة ؛ فشغل منصب أستاذ بكندا (1910-1925) فَشِيكاجُو، وعُنِيَ في الوقت نفسه بدراسة اللغات الهنديّة الشماليّة دراسة ميدانيّة في المجالين الشكليّ والوظيفيّ. سمح له ذلك بتأسيس طريقة لدراسة اللغات تعتمد التصوّرات الذهنيّة والتصنيف. وقد بسطها الأميركيّ (Worf) في كتابه "اللغة بين الفكر والواقع" 1956. وكان لسابير الأثر البالغ في الدراسات اللسانيّة الأميركيّة. وهو الذي مهّد المجال التركيبيّ للنظريّات التحويليّة التي طوّرها هاريس (Harris) وتشومسكي (Chomsky).

المطلوب:

حللي النص مجيبا على الأسئلة الآتية:

-ما طبيعة اللغة عند سابير؟

-ما العلاقة بين اللغة والثقافة عند سابير؟

-ما العلاقة بين اللغة والسياق عند سابير؟

-ما العلاقة بين اللغة والأصوات؟

-ما نفهوم اللغو عند سابير؟